

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الأسماء الحسنى والصفات العلى وله الآخرة والأولى إنَّ إلى ربِّنا المنتهى ، أضحك وأبكى وأغنى وأقنى وأمات وأحيا ومنع وأعطى ، وأشهد أن رحمة للعالمين مُحمَّداً عبده ورسوله الحبيب المصطفى والصفيُّ المجتبي صلواتُ الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آل بيته وصحابته والتابعين يا حسانٍ إلى يوم يُبعثون .

أما بعدُ عباد الله فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فإنَّ تقواه أشرفُ نسبٍ وأحسنُ مُستفادٍ وأكرمُ عاقبةٍ في معادٍ (ويُحذِّرُكُمْ اللهُ نفسهُ واللهُ رؤوفٌ بالعباد) .

عباد الله: إنَّ آياتِ وحدانيةِ الله تعالى وشواهدَ قدرتهِ وعجائبَ صنعِهِ أقربُ إلى أحدنا من الحاجةِ لإطلاقِ البصرِ في مخلوقاتِ هذا الكونِ وفي كلِّ خيرٍ ، ففي نفسٍ كلِّ منَّا من شواهدِ القدرةِ وبديعِ الخلقِ ما لا يحيطُ به عددٌ ، ولا تستوعبُ إحصاءهُ الأحيينُ والمُدد ، ومن جملةِ هذه الآياتِ ما أودعه اللهُ في الإنسانِ من أسرارِ التركيبِ الكامنةِ في تعاقبِ الأضدادِ على هذه النفسِ البشريةِ كالحزنِ والفرحِ والضحكِ والبكاءِ قال اللهُ تعالى (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى) .

الضحكُ عباد الله انفعالٌ في نفسِ البشرِ لا يقدرُ على إيجاده إلا اللهُ تعالى ، وهو من دلائلِ قدرةِ الله تعالى الواضحةِ يضحكُ من شاءَ كيفَ شاءَ ويمنعُ الضحكَ عمَّن شاءَ ، وسجلاتُ العباداتِ وكبرياتِ المشافي النفسيةِ في العالمِ أصدقُ شاهدٍ على عجزِ البشرِ ومقدِّراتهم عن استجلابِ الضحكِ لمن منعه اللهُ إياه ، ولذلك أثنى على نفسه بهذه القدرةِ الباهرةِ فقال (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى) ، وللضحكِ في القرآنِ والسُّنةِ آدابٌ مرعيةٌ وأحكامٌ شرعيةٌ حقيقٌ بكلِّ مسلمٍ أن يعلمها ويلتزمها .

ومن جملةِ ذلك أن الأنبياءَ عليهمُ السلامُ وهم أكملُ الخلائقِ سمناً وأتمهمُ مروءةً كان ضحكهم تبسُّماً لا قهقهةً فيه ولا أزرًا ولا إرعاداً ولا تقلباً للظهرِ على البطنِ وضرباً بالأقدامِ ، فهذه تصرفاتٌ تنبئُ عن مدى خفَّةِ الإنسانِ وخُلوهِ من الكمالاتِ ، ولذلك قال اللهُ تعالى عن سليمانَ في قصةِ النملةِ (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا) وقد امتثل النبي صلى اللهُ عليه وسلم سنةَ سليمانَ كما أمره اللهُ بقوله (فبهدهم اقتده) كما قالت عائشة رضي اللهُ عنها ما رأيت رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنما كان يتبسم )

ومن سنةِ المصطفى صلى اللهُ عليه وسلم عدمُ الإكثارِ من الضحكِ بحيثُ يكونُ غالباً على حياةِ الإنسانِ فلا تبدوا صفحةً وجهه إلا وأسنانهُ تتقدمها ، قال عليه الصلاةُ والسلامُ في الحديثِ الصحيح (لا تكثروا الضحكُ فإن كثرةَ الضحكِ تميمت القلب) وليست هذه بدعوةٍ إلى الاغتمامِ والكتابةِ الدائمةِ فالمنهيُّ عنه هو الإكثارُ المفرطُ وليس مطلقُ الضحكِ ، ولقد أقرَّ النبي صلى اللهُ

عليه وسلم على الضحك وهم أتقى الناس لله كما قال جابر بن سمرة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت الشمس قام وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتسّم صلى الله عليه وسلم ، وهذا يدلُّ على فسَدِ عملٍ واعتقادٍ من يظنُّ التزام المرء بالدين مقرونا بقدر عبوسه واستجماعه لهم فالله غني عن تعذيب مثل هذا لنفسه فأبشروا وأملوا وسددوا وقاربوا والله ولي المؤمنين.

ومن السنّة لمن يقوم في النَّاسِ مقامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإشارة والقضاء والفتيا وغير ذلك أن يتسّم ويضحك إيناسا للخائفين من قُصَّاده ، لإزالة وحشتهم في المواقف التي تحتاج إلى الرفق والإيناس وجبر الخواطر ، لما رواه جابر بن عبد الله أن رجلا جاءه صلى الله عليه وسلم وهو يخطب، فقال: يا رسول الله رأيت فيما يري النائم البارحة كأن عنقي ضربت، فسقط رأسي فاتبعته، ثم أعدته مكانه. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدث به الناس" بل لقد تجاوز رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المترلة إلى منازل لا تُدرِكُ أو تُنالُ فضحكَ حلماً ورحمةً في مواقف لو وقفها غيره لأراق الدماء وأزهق الأنفُسَ يدركه أعرابي جافٍ من صحابته رضي الله عنهم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فيجذبه جذبة شديدة أثرت في صفحة عنقه، ثم يقول له: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك ، وهو ملكٌ في جيشٍ أقصى مني واحدهم أن تُزهق روحه حمايةً لجناب رسول الله ومع كل ذلك امتصَّ غضب الصحابة وغضب الأعرابي بالتبسّم كما قال أنس "فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ضحك ، ثم أمر له بعتاء" فأين بعضُ الموظفين الذين يرزقهم ولي الأمر لنيابته في خدمة الناس وقضاء مصالحهم ومع ذلك لا يرى أحدهم إلا عابس الوجه مقطب الجبين كأنه خازنٌ سقر ، يعامل كل داخلٍ عليه كأنه قاتلُ أبيه ، ولو أراد الله به خيراً لتبسّم في وجه كل داخلٍ عليه ليخرج آخر دوامه وقد تصدّق على فتامٍ من المسلمين بصدقاتٍ لا يعلم أجرها إلا الله فقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تبسّمك في وجه أخيك صدقةٌ ، واخروم من حرمة الله.

ومن السنّة استخدام الضحك في التحديث بنعم الله شكراً له على آلائه وأفضاله كما قالت عائشة الطاهرة رضي الله عنها يوم نزلت براءتها من فوق سبع سماوات فوصفت النبي صلى الله عليه وسلم قائلةً: فلما سُري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة ، أما الله فقد برأك " قالت عائشة " فو الله الذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى إني لأنظر إلى نواجذه سرورا " ومن السنّة الضحك لأنعم الله العامة على المسلمين من انتشار الخير وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإنبات الأرض وخفض الأسعار

وصلاح أولياء الأمور كما ضحك النبي صلى الله عليه وسلم في آخر يومٍ من حياته فقد كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر حجرته ، فرأى صحابته مجتمعين خلف إمامهم يؤدون فريضة الله قال أنسٌ فالتفت إلينا كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً

والضَّحِكُ من مبطلاتِ الصَّلَاةِ المُجمَعِ عليها ، فمن ضحك في الصلاةِ فصدر منه صوتٌ أو حرفٌ بطلتِ صلاتهُ خلافاً للتبسمِ فإنه لا يُبطل الصلاةَ ، ومع ذلك فالواجبُ على المصلي أن يجمع شتات قلبه على الله ويعظم موقفه بين يديه لينالَ حظَّهُ من الفلاحِ المكتوبِ للخاشعين (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ )

ومن الضحك ما يكونُ مكرًا وخديعةً واستدراجاً وهو أكثرُ ما يكونُ من الخونةِ والمجرمينِ

السنّ تضحك والأحشاء تحترق \* \* وإنما ضحكها زور ومختلق

وهذا يوجبُ على العاقلِ أن يقدرَ للخائنِ قدره ، ويحذرَ فُجاءتَهُ وغدره ، فاهلُ الخديعةِ والمكر كما قال الله (يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ).

عباد الله: ما يقومُ به البعضُ اليومَ من اختلاقِ الأساطيرِ وتزييلها على أناسٍ وأقاليمٍ وشعوبٍ وقبائلٍ وإرسالِ ذلك عبر الهواتفِ وغيرها لأجلِ إضحاكِ النَّاسِ كبيرةً من الكبائرِ توَعَدَ اللهُ صاحبها بالويلِ على لسانِ نبيه صلى الله عليه وسلم يوم قال (ويلٌ للذي يحدثُ بالحديثِ ليضحكُ به القومَ فيكذبُ ويلٌ له ويلٌ له) فكرَّرَ الويلُ في الحديثِ تغليظاً لخطيئتهِ واستبشاعاً لجرمتهِ

#### الخطبةُ الثانية:

الحمد لله وصلى الله وسلم على نبيه ومصطفاهُ ومن اتبع سنته واقْتَفَى أثره وهداهُ ، وبعدُ: فَإِنَّ من الضَّحِكِ المُحَرَّمِ عباد الله ما يكونُ رَدَّةً فعلٍ من بعضِ الجهلةِ في مقابلةِ الوعظِ والدَّعْوَةِ والإرشادِ ، فما يسمعونَ واعظاً يُذكِّرُهُمُ اللهُ والدارَ الآخرةَ إلا سخروا منه وتضاحكوا وهم يتغامزون ليُحيُوا بذلكِ سُنَّةَ بني إسرائيلَ وأبي جهلٍ وابنِ مُعيطٍ وفرعونَ وهامانَ الذين نعت اللهُ سلفهم بقوله ( ) ووَیَخَ ورثتهم بقوله (أفمن هذا الحديثِ تعجبون \* وتضحكون ولا تَبْكُونَ \* وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) فُتتلى على بعضهم قوارعُ القرآنِ وزواجرهُ التي تكادُ الجبالُ الصمُّ تخرُّ هداً لو أنزلت عليها فيصرفُ اللهُ سمعهُ وقلبه عنها إلى شكلِ المتحدِّثِ ولباسه ولونه ومكانته الاجتماعية وغير ذلك من موجباتِ الاحتقارِ في قانونِ الجاهليةِ ، بل وازدادَ أهلُ الهزءِ اليومَ

إمعاناً في السخرية فتوافرت الجهودُ وتضافرت الطاقاتُ منهم لإنتاج الأعمالِ الفكاهيةِ التي تُرسِّخُ مفهومَ السخريةِ في أذهانِ البُسطاءِ ، ولو علمَ اللهُ فيهم خيراً لأسمعهم فانتفعوا ولكن اللهُ يهدي من يشاء ويضلُّ من يشاء وله في ذلك الحكمةُ البالغةُ والقدرةُ النافذةُ ومن يُردِ اللهُ فتنسهُ فلن تملكَ له من الله شيئاً، فنعوذُ بالله من الحرمانِ.

عباد الله: قد يحصلُ لأحدنا أن ينفلتَ ضاحكاً لأمرٍ وقعَ من أخيه ولا حيلةَ له في دفعه كنعثُره في ممشاهُ أو تصويتِ بطنه أو غلبةِ البولِ له وجريانه على لباسه أو شرطته في مجمعٍ من الناسِ دونَ قصدٍ أو حيلةٍ تدفعُ شيئاً من ذلك ، والضحكُ في كل هذه الأحوالِ معيبٌ مكروهٌ لا يسوغُ لأنَّكَ مُشْتَرِكٌ مع أخيك الذي تضحكُ منه في حصولِ كُلِّ هذه الأشياءِ لكنَّ الفرقَ بينكما أنَّ اللهُ سترَ عليك فحفظَ قدرك في أعينِ الناسِ وأظهرَ أمرَ أخيك فعلامَ تضحكُ ، ولذلك كرهَ رسولُ اللهُ صلى اللهُ عليه وسلمَ مثلَ هذا الضحكِ كما في الصحيحينِ من حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ رضي اللهُ عنه أَنَّ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ وَعَظَّهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ فَقَالَ «إِلَامَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ» فهذه إشارةٌ إلى أن الإنسانَ لا ينبغي له أن يعيبَ غيره بما يفعله هو بنفسه، فإذا كنتَ لا تعيبه على نفسك ولا يُضحكك صدوره منك فكيف تعيب إخوانك وتحجلهم بضحك عليهم؟

إنَّ من المُنِّ الأخرويةِ المتعلقةِ بالضحكِ أَنَّ اللهُ تعالى وتقدَّسَ يشفي صدورَ المؤمنينَ ويذهبُ غيظَ قلوبهم برؤيةِ مصارعِ المتجبرينَ عليهم في الدنيا ورؤساءِ الكفرِ والفُسوقِ والعصيانِ الذين يسومون المؤمنينَ والضعفاءَ سوءَ العذابِ اغتراراً منهم بسلطانِ الدنيا الزائلِ عما قليلٍ فيرونهم يتقبلونَ على جمر جهنمِ يُشَوونَ فيها ويدوقونَ جزاءَ استضعافِ المساكينِ واحتقارهم والتعدي عليهم بسلطانِ الغلبةِ في الدنيا وفي ذلك يقولُ اللهُ (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ \* عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ \* هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ).